ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 02، 2022

واقع الثقافة عند عبد الله شريط

The reality of culture according to Abdullah Chrait

بكار هوارية BAKKAR Houaria * فلسفة جامعة وهران2 محمد بن احمد- الجزائر
(houariabakkar491@gmail.com)
أ.د.سواريت بن عمر SOUARIT Benamar فلسفة جامعة وهران2 محمد بن احمد- الجزائر
souarit.benamar@univ-oran2.dz

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/16 | تاريخ القبول: 2022/04/05 | تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص: إنّ الثقافة مقوّما من مقوّمات الأمّة الثلاثة إضافة إلى جانب العرق والسّياسة. وبالنسبة للعرب فالثقافة لديهم أخذت الجانب الأكبر والأوسع إذ أنّها تعاني من مشاكل خطيرة على المستويين العرقيّ والسّياسي، فالمستوى السّياسي يضمّ دويلات متعدّدة ذات أنظمة متباينة وعلى المستوى العرقيّ يضمّ جماعات مختلفة، وعلى الرّغم من هذه المشاكل إلاّ أنّ لها نزوعا قويا يهدف إلى الوحدة ويرمي إلى إبراز روح الثقافة العربية الواحدة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ عبد الله شريط؛ التعريب؛ اللغة؛ المجتمع

Abstract: Culture is one of the three components of a nation in addition to race and politics. As for the Arabs, their culture has taken on the larger and broader aspect, as it suffers from serious problems at the ethnic and political levels. The political level includes multiple states with different regimes, and at the ethnic level it includes different groups, and despite these problems, it has a strong tendency aimed at unity and aims to highlight The spirit of the one Arab culture

Keywords: Culture; Abdullah Chrait; Arabization; language; society

* المؤلف المرسل: houariabakkar491@gmail.com

تمهيد:

عرف العالم المعاصر قفزة نوعية وطرحا جّديا لأهمّ المسائل الاجتماعية والاقتصادية كما كان للقضايا السياسية الحظ الأكبر من هذا الطرح، و" لأنّ العالم المعاصر أصبح يعي ذاته ويسيطر على مصيره" [1]. فكان لمفكري الوطن العربي حضورا هاما بآرائهم وبانتقاداتهم، نظرا للرّهانات المتعلّقة بمستقبل بلدهم ومحاولة منهم على رفع الغبن والتبعية الّتي تستهدف بلدانهم، وانطلاقا من مقولة عبد الله شريط في المعرفة:" إنّكم بواسطة المعرفة تملكون من القوّة ما لم يسبق للإنسان التحصل عليه، وهذه المعرفة تستطيعون أن تصنعوا بها الخير إذا أصبحتم واعين للرابطة العائلية الّتي تشمل كلّ بني الإنسان وإذا فهمتم يوما أنّنا نستطيع أن نكون سعداء أو أشقياء.. لقد ولى ذلك الزمن الّذي كانت فيه أقلية صغيرة تعيش في رخاء ويسر على حساب تعاسة الأكثرية وبؤسها "[2].

فلقد أعطى عبد الله شريط المعرفة صبغة جديدة في تقديمه ومعالجته لأهمّ القضايا الّتي عرفها الوطن العربي فكانت مفاهيمه عبارة عن سلاح ذو حدين بحيث يدفع بأبناء أمّته إلى بذل الجهد في مواكبة التقدم والازدهار من جهة، والتخلّص من التبعية من جهة أخرى، إن فلسفة عبد الله شريط تهدف إلى الانطلاق من الواقع في طرح الإشكال كما تعود إليه في تقديم النصائح وإيجاد الحلول ولكون التاريخ الثقافي والفكري هو المقياس الأساسي لأيّ أمّة في قياس مدى تطوّرها كانت أعماله بمثابة ردّ على أعداء الثقافة واللّغة العربية.

فلقد عرفت هذه الأخيرة منذ القديم تحديات واسعة في تاريخ صراعها وصراع الإسلام وما ذلك إلا لأنها لغة القران الكريم، ومن المعلوم أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة يكتب لها البقاء، من هذا المنطلق فإن أي تحد لثقافة ما ينطوي على تحد للغتها، ولا يخفى أن العربية اليوم، باعتبارها وعاء للثقافة والحضارة الإسلامية، وبحكم النظام الدولي المعاصر، تواجه اللغة صراعات كبيرة من قبل العولمة

[1] - يسرى الجوهري وناريمان درويش، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، س1986، ص188.

[2] - أنظر مقدمة كتاب من أجل سعادة الإنسان لعبد الله شريط، المصدر السابق.

المختلفة والتي هي في الواقع، إلا تعبير مهذب عن (الأمركة) لأن العالم مقبل على عصر أمريكي، تسود فيه المدنية الأمريكية وقيمها الثقافية.

ولم يتوقف الأمر بالبعض عند التخوف من سيادة اللغة الانجليزية وإنما تجاوزه إلى التحذير من انسياق معظم اللغات واندثارها تحت وطأة التقدم التكنولوجي والمعلوماتي الذي يؤدي إلى انتشارها باستمرار وتسارع، فلا تستطيع اللغات الأخرى مجاراته أو اللحاق به وقد تصبح لغات مهمشة وقد ينتهي بها الأمر إلى الخروج من حياة أهلها وبخروجها تفقد الإنسانية تراثا هائلا من الثقافات لصالح أحادية اللغة.

إن واقع اللغة تصطبغ بتجليات الصراع بين الأنا والآخر فحينما يضعف الإحساس بالأنا أمام تحديات الآخر، فإن الضعف يتسرب إلى اللغة إذ لا يمكن الجمع بين التنازل عن الهوية اللغوية واحترام الذات ولهذا فإن العامل الحاسم في تحديد الانتماء القومي هو اللغة. فالعولمة أعادت توجيه المسألة لتدخل في إطار ما يسمى بحوار الحضارات، وضرورة الاعتراف بالآخر والتعامل معه، مع الحرص في نفس الوقت على بلورة الهوية والانتماء.

وعليه، فاللغة وعاء الفكر، والثقافة أساس الحضارة، والحضارة ترجمة للهوية، ومن هنا نتساءل:

- كيف كانت اللغة عاملا أساسيا في إبراز الثقافات؟. وكيف اتسمت نظرة عبد الله شريط للثقافة الجزائرية؟

قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرج على مفهوم الثقافة لمعرفة وظيفة اللغة فيها بكونها ذاكرة الأمة تخزن فيها ثوراتها ومفاهيمها، فهي أداة تواصل بين الماضي والحاضر، ولكون الأمة المسلمة تملك من مقومات الوحدة اللغوية ومن ثم الوحدة الحضارية ما لا تملكه أمة من الأمم، فوحدتها اللغوية ليست نابعة من مصلحة أرضية مؤقتة، لكنها تنبع من عقيدة سماوية طاهرة.

أ.تعريف الثقافة:

إذا كان مفهوم الثقافة مفهوما عميقا إلّا أن عبد الله شريط كان له طرحا جديا، يحمل في أعماقه شخصية الوطني الذي أحب بلده، ورأى في مجتمعه وأبناء وطنه سبلا في التغيير، وكان موضوع الفلسفة واسعا النطاق عنده، حيث يجب علينا أن تخرج من بؤر العصر الكلاسيكي القديم، وذلك يكون بتفعيل روح النقد والاختلاف شريطة أن تدعم

بإشكاليات مختومة بحلول بنّاءة تخدم المجتمع ومصالحه، فإذا أردنا الحديث عن مفهوم الثقافة عند المفكر الجزائري عبد الله شريط، والتي اتجه فيها إلى تشخيص هذه المشكلات الثقافية في ظل مناخ خاص شهدنه البلاد عقب الاستقلال مباشرة، حيث عرفت تغيرات جوهرية في مختلف الميادين، وفي ظل ما جاء على لسان مفكرين العرب الآخرين، استدعت منا الأمانة العلمية أن نتطرق لمفهوم الثقافة لغة واصطلاحا.

عرفت الثقافة مجموعة من التعاريف اللّغوية معظمها جاء بثقفة الرجل: أي صار حاذقا فطنا، والثقافة بمعنى العلوم والمعارف والفنون الّتي يطلب الحذق والتفطن فيها "[1]، أمّا اصطلاحا: فهي مجموعة من الطّرق والنّظم والتقاليد الّتي تميّز جماعة أو أمّة أو سلالة عرقية عن غيرها من الأمم "[2].

لقد تعدّدت التعريفات لهذا المفهوم ومنذ وقت طويل، ففي مطلع الخمسينيات حصر عالمان من علماء الأنثروبولوجيا على مئة وخمسين 150 تعريفا للثقافة، فمفهوم الثقافة العام هو كلّ ما يبدر عن الإنسان من إبداع وإنجاز فكري أو فني أو أدبي أو علمي، وعلى غرار الاجتماعيين الذين رأوا في مفهوم الثقافة الأكثر شمولا هو أنّها: حصيلة كلّ نشاط بشري اجتماعي في مجتمع معين[3]، وعليه فإنّ لكلّ مجتمع ثقافته الخاصة والمميّزة بغض النّظر على تقدّم هذا المجتمع أو تأخّره، إلاّ أنّ هناك ثقافة أخرى تلقي الضوء على معناها: أي أنّها مجموعة العادات والفنون والعلوم والسلوك الديني والسياسي منظورا إليها ككلّ متمايز يميّز مجتمع عن الآخر" [4].

ومن خلال دراسة تاريخ ثقافات الشعوب المختلفة ومعرفة الماضي يمكننا أن نفهم الحاضر، وبذلك نستنتج أن الثقافة يمكن أن تتمايز وتستقلّ عن الأفراد الّذين يمارسونها في حياتهم اليومية أمّا عناصر الثقافة فهي الكتاب ويكتسب بالتّعلم في المجتمع المعاش إذن هي مجموعة من التراث الاجتماعي المتراكم على مر العصور[5].

---

[1]- جاك أطالي، قاموس القرن الواحد والعشرون، دار النشر فايار، باريس، ط1، س 1998، ص 86.

[2]- المصدر نفسه، ص 87.

[3]- ينظر مجموعة من الأساتذة الجامعيين، المثقف العربي همومه وعطاءه، الطبع والنشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، س1990، ص62.

[4]- محمد الطار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، س 1983، د ط، ص9.

[5]- محمد طار، المرجع نفسه، ص 10.

ويشير إليها جميل صليبا بالمعنى العام على أنّها ما يتّصف به الرّجل المتعلّم الحاذق من ذوق، وحس انتقادي، وحكم صحيح، أو هي التربية الّتي أدّت إلى إكسابه هذه الصفات، وهذا ما أشار إليه روستان بأنّ العلم شرط ضروري في الثقافة، ولكنّه ليس شرطا كافيا وإنّما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية الّتي أكسبنا إيّاها العلم، حتّى جعل أحكامنا صادقة وعواطفنا مهذّبة، وعليه فالثقافة ذو وجهين:

وجه موضوعي: يتمثّل في العادات والأوضاع الاجتماعية والآثار الفكرية والطّرق العلمية وأنماط التّفكير، ووجه ذاتي: وهو ثقافة العقل"[1].

ب - واقع الثقافة الجزائرية:

لقد كان لمفكرنا الجزائري عبد الله شريط نظرة تشاؤمية من الحالة الّتي آلت إليها الثقافة الجزائرية في ظلّ الاستعمار الفرنسي والّذي غرس فينا ثقافة التّبعية، وهذا الاستعمار الغاشم كرّس كلّ طاقته لطمس ثقافتنا وهويتنا العربية، وانطلاقا من هذه المقولة: " إنّ ثقافة الجزائري أدركتها الشيخوخة وأصابها الشّلل والقعود عن التّقدم نظرا لثلاثة متناقضات:

1. تناقض بين اللّغة المقروءة واللّغة المكتوبة، والّذي رآه المفكر أهمّ عنصر في التواصل الثقافي.

2. . تناقض بين ثقافة أرستقراطية وثقافة شعبية.

3 . تناقض بين مفاهيم وثوقية متحجّرة وأخرى مؤمنة بالتّقدم العلمي والتّقني" [2].

أرجع عبد الله شريط هذا الشّلل الحاصل في الواقع الثقافي الجزائري إلى ثالوث من المتناقضات، وبما أنّ هناك فئتين من المثقفين في الجزائر، فئة عربية " الثقافة واللّغة " وهي تحمل نفس اهتمامات الفئة الاجتماعية المحرومة، أمّا الفئة الثانية فهي فئة " فرنسية الثقافة واللّغة " وهي العاجزة عن التّبليغ والاتّصال بين فئات المجتمع بسبب الأميّة والجهل القائمان. كما يرى عبد الله شريط أنّ سبب تكوين هذه الاتجاهات والانقسامات بين أبناء الشعب الواحد هو الاحتلال الفرنسي الغاشم.

حيث يقول في نفس الكتاب: " إنّ الإطارات الجزائرية المثقفة لها اختيارين: إمّا أن تندمج في تقاليد أجنبية تدين بالثقافة لثقافة وبالعلم للعلم، وإمّا أن يلقى بها على

[1]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج2، ط1، س 1982، ص 487.

[2]- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981، ص 148.

الهامش بعيدا عن الحياة الفكرية وقريبا من المحيط الشعبي المحروم"[1]، وعليه إنّ الاستعمار الفرنسي غرس بعدين للثقافة في المجتمع الجزائري بعد تهميش اللّغة العربية إضافة إلى تكريس اللّغة الفرنسية محلها، وذلك لطمس الشخصية الجزائرية وتراثها، حيث أنّ اللّغة ليست مجرد تراث للأمّة إنّما هي أداة حركة للمجتمع الّذي يسعى نحو التّقدم والازدهار.

إنّ اللّغة العربية هي لغة الجزائر الرّسمية على الرّغم من تنوّع لهجات المجتمع الجزائري، إلاّ أنّه حافظ عليها طيلة عهد الاستعمار، وهي القاسم المشترك بين شعوب الوطن العربي، ولكن بتنوّع اللّهجات المحلية الّتي يستعملها أبناء الوطن لأغراض عملية بحثة يصبح للجزائر مكسبا لغويا كبيرا، فكيف نحافظ على تلك اللّهجات المدعّمة؟ وكيف نسعى إلى تطويرها وإثرائها بمفردات جديدة ؟ وهذا ما يجيب عنه عبد الله شريط بقوله:" إنّ اللّهجات المتفاوتة في معانيها يجب مراقبتها وتوجيهها حتّى تأخذ شيئا فشيئا طابع اللّغة الثقافية أو تنظم وترجع إلى لغتها الأصلية حتّى يصبح مجتمعنا في يوم من الأيام يتكلّم كما يكتب ويكتب كما يتكلّم"[2].

ج- معركة التعريب:

دعى عبد الله شريط أبناء المجتمع الواحد إلى الإقرار بوجود لغة واحدة يتواصل بها، فلا وجود للغة بدون مجتمع ولا وجود لمجتمع بدون لغة، ذلك أنّ اللّغة هي دلالة للتعبير عن الأفكار سواء كانت أفكار اجتماعية أو سياسية أو دينية أو حتّى ثقافية. ويميز عبد الله شريط بين مستويين هامين في أي مشروع نهضوي: مستوى التنظير، ومستوى الممارسة أو التطبيق. فلا يكفّ أن تكون الفكرة مناسبة، طموحة وهادفة، ولا يكفّ أن يكون الحماس لتطبيقها قويًّا متدفقاً، ما لم تحدد الاستراتيجيات المناسبة للتطبيق، والوسائل المادية والبشرية الكفيلة بإنجاح المشروع. وعليه فإن معركة التعريب في الجزائر التي لا تزال تقبع في مرحلة التنظير ومناقشة المبدأ، لا بد من وجهة نظره أن تتطور إلى مرحلة أكثر تقدماً، وهي مرحلة تقديم الأسلحة الضرورية للمعركة وعلى مستوى الممارسة يؤكد عبد الله شريط على عنصر جوهري في نجاح المشروع وهو الاعتماد على الذات، وتحمل المسؤولية بكل تبعاتها ومستوياتها.

[1]- عبد الله شريط، واقع الثقافة الجزائرية، ص 142.

[2]- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ص 154.

وعليه فإن تطبيق التعريب في الجزائر من وجهة نظره لا ينبغي أن يوكل إلى المتعاونين المشارقة، أو خبراء من منظمة اليونيسكو، أو المستعربين السوفيات أو الفرنسيين، وإنما إلى الأساتذة والمعلمين الجزائريين. وأن هؤلاء لا ينبغي أن يقصروا جهودهم في إنجاح المشروع على تنفيذ تعليمات الحكومة، وتوجيهات وزارة التربية والمفتشين مهما كانت دقتها، وإنما عليهم أن يثوروا على أنفسهم، وهذه الثورة لا تكون إلَّا برفع مستواهم الثقافي العام، ليس في اللغة العربية فحسب، وإنما في ميادين علم النفس والتربية الحديثة، وفي التاريخ العام، وتاريخ الأدب، وتربية الذوق الجمالي" [1].

بالإضافة إلى تعلّم لغة أجنبية يطلون منها على تجارب الأمم الأخرى في العصر الراهن، ولا سيما تلك الأمم التي يثور فيها كل جيل على انجازات الجيل الذي سبقه، بشكل إيجابي بنّاء، لا يستهدف تحطيم ما بناه الجيل السابق، ولكن تجاوزه إلى ما هو أعلى وأبعد وأعمق. فالمعلم الجزائري في عهد الاستقلال معلم تكوّن تكويناً سريعاً، لم يمتلك معه ناصية الثقافة العامة، ولا السيطرة على اللغة حتى يستطيع نقلها بكفاءة وفاعلية إلى الأجيال الصاعدة. ولكي تنجح معركة التعريب، لا بد من مراجعة موقفنا من القواعد التي تعلّم بها اللغة العربية اليوم، والاعتراف بأنها لم تعد قواعد صالحة لأطفالنا وشبابنا، وضرورة استبدالها بقواعد جديدة، يكون طابعها البساطة والوضوح والسرعة والفعالية. وليست تلك مسؤولية المثقف اللغوي الجزائري فقط، ولكنها مسؤولية جميع المثقفين اللغويين العرب، الذين ينشطون في المجمعات اللغوية. وهي مسؤولية تقتضي منهم النهوض باللغة العربية، وإبداع الجديد فيها، حتى تستطيع منافسة اللغات الأجنبية التي باتت تزاحمها في عقر دارها.

وتلك هي رسالة المثقف الكفء عند عبد الله شريط، فهو مطالب بأن يمتلك مادة ثقافته، وأن يعمل باستمرار لإدخال الجديد عليها، لا أن يتصف بروح الاستهلاك والاتكال، فيكتفي باستهلاك ما خلّفه الأجداد. ويضيف عبد الله شريط قائلا: " "إنّ لغتنا الوطنيّة خرجت من الاحتلال وهي في مثل حالتنا الصّحية تدهورا وضعفا، فقد تبرّأنا منها لأنّنا الآن نحن الّذين نحملها وهي مشلولة، وفضّلنا أن تحملنا الفرنسية على أجنحتها لأنّنا أمامها نحن المشلولون" [2].

[1]- عبد الله شريط، المصدر نفسه، ص 155.

[2]- عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعريب والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، س1984، ص32.

وضع شريط للّغة العربية معالما وجعلها سامية على باقي اللّغات، بحيث جعل القاسم المشترك بين المفرنسين والمعرّبين هو مصلحة الوطن مهما كانت لغتهم الثقافية، وكلاهما قادرا على النّقاش الدّيمقراطي البناء، لمصلحة وطنهم، وخاصّة إذا ما كان الأمر متعلّق باللّغة العربيّة لكونها لغة القرآن، فكيف يكون مصيرها بين المفرنسين من أبناء هذا الوطن؟

إن تطور اللغة عند عبد الله شريط لا ينفصل عن تطور المجتمع، فإذا كانت حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحتاج إلى إعادة نظر، ومراجعة عميقة حتى نجد لنا مكاناً بين الأمم المتحضرة، فكذلك العربية، إنها بحاجة إلى إعادة نظر في أساليبها وتراكيبها وطرق تدريسها، حتى تجد لها مكاناً بين لغات الأمم المتحضرة. فلا يعقل أن تكون اللغة راقية، والمجتمع الذي تحيا فيه متخلفاً، ولا يمكن أن تزخر هذه اللغة بمصطلحات، واشتقاقات، وتراكيب تساير عجلة الحضارة، في مجتمع أمي لم يبلغ شيئاً من هذا المستوى الحضاري.

ويؤكد عبد الله شريط بقوة، أن عدم الوعي بضرورة تطوير اللغة العربية، قد يعرضها للانحسار والركود، كما حدث للغات الصينية واليونانية والعبرية واللاتينية.

وعليه، وكما وجهنا جهودنا لمحاربة المستعمر، واسترجاع وطننا، وكما اجتهدنا في تأميم اقتصادنا، فأصبح اقتصاداً وطنيًا، بعد أن كان تابعاً لفرنسا، علينا كذلك أن نطور ثقافتنا بما فيها اللغة العربية، وأن نخرجها من دائرة التخلف والركود التي تعيش فيها. مما يعني أن الثورة الثقافية في نظر عبد الله شريط ينبغي أن تسير في اتجاهين "[1].

• اتجاه تقني، يجعل اللغة العربية قادرة على اللحاق بركب الحضارة الحديثة، من خلال إثرائها بالمصطلحات العلمية والتقنية.

• اتجاه شمولي، تعمم فيه اللغة العربية، بحيث تكون في متناول جميع فئات الشعب بدون استثناء.

إن تطوير اللغة العربية، بشكل يجعلها في متناول القاعدة الشعبية العريضة، يمثل في فكر مفكرنا عبد الله شريط مسألة حيوية، نظراً للهوة السحيقة التي تفصل الإطارات الجزائرية المسيرة للبلاد عن المستوى الثقافي البسيط للمواطن الجزائري. إنها إطارات تستخدم اللغة الفرنسية التي لا يفهمها الشعب، كما أنها لا تأخذ في الحسبان

[1]- عبد الله شريط، المصدر نفسه، ن ص.

أميته في كل ما تسنّه له من قوانين ولوائح، ونتيجة لهذا الانقطاع، أصبحت إطارات الدولة في الإدارات، والحزب، والمنظمات الشعبية تعيش في عالم، والشعب في عالم آخر، لا يجمع بينهما إلّا المكان الجغرافي والزمان المادي.

هذه القطيعة لا تمثلها الفئة الناطقة باللغة الفرنسية فقط، ولكن كذلك الفئة الناطقة بالعربية الفصحى، على اعتبار أن عامة الشعب تتحدّث العامية، وهذا يعني أنه لا المفرنسين قادرين على التواصل مع الشعب، ولا المعربين كذلك، فثمة قطيعة بين الشعب، والنخبة المثقفة بعامة، مما يقود شريط» من جديد إلى التأكيد على ضرورة التعريب من ناحية، وعلى ضرورة تطوير وتبسيط اللغة العربية حتى تصل إلى أذهان وعقول العامة من ناحية أخرى. المجتمع الجزائري إذن مجتمع يتكلّم لغة، ويكتب أخرى، وحتى نستطيع تجاوز هذا الفصل القائم بين لغة المجتمع من ناحية، ولغة المثقفين فيه من ناحية أخرى.

كما يقترح عبد الله شريط بديلين: البديل الأول: يتمثل في الاعتناء باللهجات العامية المحلية، والسهر على تنظيمها، وتطويرها، وتوجيهها حتى تأخذ شيئاً فشيئاً طابع اللغة الثقافية "[1]. صحيح أن العامية ليست لغة كتابة، ولا لغة علم، ولا لغة حساب، ولكن مفرداتها التي تنبع من قلب المجتمع يمكنها أن تغني اللغة العربية، فتصبح في متناول جميع فئات الشعب العامية والمثقفة، ومع مرور الأجيال تقترب اللغة المنطوقة تدريجيًّا من المكتوبة إلى أن يحدث الاندماج بينهما نهائيًّا، وهو ما استطاع تحقيقه إخواننا في المشرق، فلغتهم العربية المستخدمة في وسائل الإعلام، وفي إلقاء المحاضرات العلمية، وفي التواصل بشكل عام، مزيج بين الفصحى والعامية، يفهمها العامي، ولا ينفر منها المثقف..

أما البديل الثاني: يتمثل في النزول باللغة العربية الفصحى من طابع البلاغة اللفظية، والتشبع بالمعاني الفلسفية واللهجة الخطابية، إلى مستوى الفعالية والتبادل النفعي، فنبسط تراكيبها، وقواعدها النحوية والصرفية، ونغنيها بمفردات من واقع المجتمع أكثر قرباً من تناول الجمهور.، ويؤكد عبد الله شريط أن اللغة لا بد لها من مجتمع يتكلمها، ويطورها، وينهض بها باستمرار حتى تحيا وتتطور. والمجتمع لا بد له من لغة يتواصل بها أفراده، ويقدمون من خلالها منتوجهم الثقافي المتميز، لكن شريطة أن

[1]- عبد الله شريط، المصدر نفسه، ص34.

تكون لغة واحدة، تحفظ للمجتمع وحدته وتضامنه، فالفواصل اللغوية تستتبع بالضرورة فواصل اجتماعية وثقافية.

وعليه فلا سبيل لتحقيق ثورتنا الثقافية في إطار من وحدة الهوية إلَّا بالقضاء على هذه الفواصل اللغوية، وفي الوقت الذي يؤكد فيه هؤلاء أن اللغة ما هي إلا أداة لنقل المعارف والمضامين والمفاهيم بطريقة محايدة، وأن الغاية تكمن في نقل المعارف وليس في اللغة في حد ذاتها. كما أن اللغة الفرنسية بهذا المفهوم هي الأنسب للتطبيق باعتبارها تمثل المنفذ للعصر الحديث، والحضارة الغربية، لما تتميز به من مرونة وقدرة على التفاعل مع العلم والتقنية.

إذن، باللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. إذن اللغة وسيلة تعلم وتعليم، يتمكن الدارس عن طريقها من تعلم مواد الدراسة المختلفة وبها يستطيع المدرسون تعليم الطلبة المواد في مختلق أطوار الدراسة.

إن الإنسان يعيش عيشة جماعية مع مجموعة من الجنس البشري، تربطه بهم عوامل متعددة من النسب والجوار، واتحاد الغايات والآمال والآلام والعواطف، وغير هذا من الروابط الاجتماعية، وهو لذلك في أشد الحاجة إلى أن يتفاهم مع هذه المجموعة، لتستقيم حياته، وتنتظم أموره، ولا نستطيع أن نتصور مجموعة من الناس، يمكنها الاستغناء عن وسيلة للتفاهم بينها، ولا شك أن المجموعات البشرية قد جهدت- منذ العصور التاريخية الأولى- في سبيل الوصول إلى هذا التفاهم المنشود، ولعلها تدرجت في هذا السبيل، فاتخذت من الإشارات والحركات والأصوات والرموز وسائل تعين على تحقيق هذا التفاهم بينها، ثم انتهت هذه الجهود المتصلة باستخدام اللغة وسيلة لهذا التفاهم.

وتقودنا هذه التعريفات المختلفة باللغة إلى الإقرار بأن اللغة هي كينونة المجتمع، بل هي أوسع من أن تحصر بوسيلة تواصل. إذن هي مفتاح سلوك المجتمع بما أن ثقافة الأمة ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط لغتها مادامت هذه الأخيرة تعكس نشاطات هذه الأمة.

إن كل حرصنا على استعمال اللغة العربية وإحيائها ينحصر عند الفخر بها نظريا، ولا يتعدى ذلك إلى الجرأة العلمية، وهكذا انكمشت لغتنا، بعد أن أهمل منها وحذف

بسبب احتقار العديد من المثقفين لعدد آخر من مفردات الشعبية من ناحية واستعمال عدد ضخم بسبب الأمية الكتابية.

وإذا نظرنا على هذا النحو فكيف يستطيع المثقّف على ما يحمله من خصائص متحرّرة منفردة أن يسعى إلى تخطي روح المجتمع المنغلق بأكمله؟ وإذا كان هذا ممكنا فقد نكون قد وضعنا للمثقّف وساما في الدّفاع عن القضية الجزائرية، ففي قضية "محو الشخصية الوطنية" المرتبطة بجرائم الاستعمار الفرنسي الغاشم فارتبط المثقف الجزائري عضويا بنداء الثّورة كوطني وقومي أراد أن يعيد إلى الأمّة حقّها في الوجود وفي التّعبير عن هذا الوجود.

د . دور الثقافة العربية:

إن للثقافة عوامل عدة تسهم في ازدهارها أو في تراجعها، ومنها التخطيط لثقافة الماضي وتحديد الثقافة القومية بما يبنى عليه الواقع إضافة إلى التخطيط لثقافة المستقبل لأنّ ثقافة الماضي غرست في المجتمع وانجرت عليها مجموعة من المشاكل كصراع السياسي بين علي كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان، وإضافة إلى المشكلات المذكورة هناك مشكلة اجتماعية خطيرة وهي تعدّد الثقافات في الوطن العربي ممّا أدّى إلى تعدّد الأقوام العرقية، وهذا لا يخدم مصالح الأمّة العربية إلاّ إذا خصبت الثقافة العربية القومية وذلك لتضمّ كلّ الثّقافات، إلاّ أنّ للّغة العربية الدور الكبير في الثقافة فما هي وظيفتها؟.

وبذلك تعتبر اللغة وسيلة من وسائل تصوير فوق الإنسانية والعواطف البشرية التي لا تتغير فنشوة النصر والشعور بالظلم والسرور عواطف تلازم الإنسان منذ بدء الخليقة، وهي مستمرة ما دامت الحياة فوق الأرض. وعن طريق اللغة استطاعت الآثار الأدبية الإنسانية أن تنتقل من جيل إلى جيل آخر، وأن تنمو نموا مستمرا بما يضيفه الأدباء إليها في العصور اللاحقة من لوحات إنسانية خالدة. وهذه الآثار تمثل صوامع شعور وهياكل تطهير يلجأ المرء لحفظ بقاءه.

وعليه فالثقافة عنصر لصيق بنمط التفكير وطرق العيش ومصدر تطور لكل وطن، لكن كيف لثقافة أن تبرز وتتطوّر في ظلّ غياب الروح النّقدية للمثقف؟ إنّ هذا السؤال يرجعنا إلى مقولة عبد الله شريط " إنّ الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تزخر بأثمان الإطارات الثقافية من الناحية الكيفية للمواطنين العرب الّذين يتركون شعوبهم

الّتي تناضل من أجل التّغيير الاجتماعي، ويلجئون إلى البلدان الغربية الرّجعية الّتي تغويهم بالمال والجاه" [1].

يلاحظ عبد الله شريط أنّ فكرة الالتزام في كلّ المجالات: الثقافية والاجتماعية....أصبحت أمرا عويصا خاصّة إذا تعلّق الأمر بشعور الأديب بمسؤوليته كمواطن في مجتمعه شعورا داخليا اختياريا، أي القيام بأخلاقياته الفردية الإلزامية، وقد ندد عبد الله شريط للقطيعة الّتي أضحت بين المثقف ومجتمعه وذلك لخدمة مصالحه والمساهمة في الإبداع والإنتاج ويبقى بذلك منتجا غير مستهلك، شريطة أن يكون عنصر المحاكاة موجودا بين الأديب وأبناء أمته وذلك للخروج بالمجتمع إلى برّ الأمان، واكتساب الثقافة الّتي ينادي بها البشر، لا خدمة الغرب الّذي ظلّ يستقطب الأدمغة بأبخص الأثمان، أو حتى بشراء كرامتها بأغلى الأثمان فالنّار على الرغم من جمال منظرها إلاّ أنّها تحرق، وعليه إنّ وجود الثقافة يشترط وجود علاقة تواصل بين المثقف وأبناء أمّته لكن على المثقف أن يؤدي خدماتها بكلّ مقتضياتها لخدمة الشعب وإخراجه من التّخلف الذهني ورفع مستواه العقلي والثقافي.

إذن فالثقافات على الرغم من تباعدها إلاّ أنّها تمحو وتزيل سوء التّفاهم بين النّاس وتثبت روح الصداقة وتضمن التّكاثف في القيام بما فيه خير للإنسانية جمعاء مقابل أن تتعاون جميع الثقافات وتعمّم.

يشهد العالم نوعين من الشعوب حسب ثقافتهم، شعوب متفتحة تسعى إلى مزج ثقافتها مع الثقافات الأخرى قصد التزاوج والتوّحد، وشعوب منغلقة ليس لها علاقات مع الثّقافات الأخرى ومازالت متشبّث بالعادات والخرافات القديمة، ولا تسعى لأيّ تواصل مع الثقافات المغايرة لها، وخلاصة القول: إنّ الثقافة العربية على الرغم من اختلافها بين الشعوب إلاّ إنّها تبقى القاسم المشترك بين أبناء الأمّة حتّى ولو كانوا في حرب الوغى " الثورة " وهذا ما أشار إليه عبد الله شريط من خلال قراءة منهج كريم بلقاسم الّذي أكّد على ثلاث نقاط:

ـ تشبّث الجزائريين بأرضهم للاستقلال التام: أي السلطة المطلقة لأبناء الشعب الجزائري في الدفاع على وطنهم والمقاومة لكلّ أجنبي تقع أرجله فوق ترابها.

[1]- عبد الله شريط، الأديب العربي والشعب، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصل والشؤون الدينية، ع 13، صفر– ربيع الأول 1393 /مارس. أبريل 1973، ص 56.

ـ وحدة الشعب الجزائري: أي عدم التّمييز بين المجموعة الإسلامية والمجموعة غير الإسلامية أي احترام كلّ الأديان والحفاظ على القاسم المشترك بينهم وهو الوطن.
ـ وحدة التراب الوطني: أي معارضة أي تقسيم للوطن"[1]، ويبقى الوطن بذلك جزء لا يتجزأ، وكلّ ولاية فيه تمثل العمود الّذي يبنى عليه، يحضرنا قول نبينا محمد عليه الصلاة والسّلام: "مَثَلُ المُؤمنينَ في تَوَادّهم وتَرَاحُمِهم وتَعَاطُفِهم: مَثَلُ الجَسَد إذَا اشتَكَى منهُ عُضوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائرُ الجَسَد بالسَّهَر والحُمَّى"[2].

وعليه إنّ دعوة أبناء الأمّة بالتّمسك والحفاظ على الثقافة بكلّ مقوّماتها، يهدف إلى بناء حضارة مثقفة. ويتمّ ذلك بوجود تيارين من المثقفين" مثقفين بالعربية ومثقفين بالفرنسية" وقليل منهم مزدوجي الثقافة وهم يشقّون طريقهم عبر الجبال في وادي من المتناقضات الّتي غرسها الاحتلال الغاشم وذلك لفك العروبة والأصالة بين أبناء هذا الوطن الواحد. وبين هذين الثقافتين لاحظنا الازدواجية الّتي وجدت كمثال حي عند ماري كاردينال، هذه المرأة الّتي تشبّعت بطفولة جزائرية بسيطة تنبع منها الأحاسيس الجميلة وبشباب تملأه الصرامة في بلد الأجداد فرنسا، فهذه الحالة جعلتها تعيش تمزقا نفسيا ممّا دعاها لطرح سؤال غريب في صياغته ثقيل الوزن في مضمونه هل أنا فرنسية أم عربية؟ تقول ماري كاردينال* إنّ الموقف الاختياري الّذي حصل لها موقف صعب إلاّ أنّها وببساطة تختار الجزائر وسبب هذا الاختيار راجع لحبّها للثقافة العربية الأصيلة الّتي أفعمتها بكلّ مبادئ العاطفة والحب، " أمّا الثقافة الفرنسية فهي عالم من الصّراعات كغيرها من عوالم الدّول المتقدّمة"[3].

تعرف الثقافة قفزة نوعية في التغيير في مختلف مجالات الحياة وهذه التحوّلات أصبحت تمثل خطرا على ثقافة الأمة العربية الإسلامية لكونها متميزة وأصيلة، وهذا التغير نتيجة لظهور ما يسمى بالتكنولوجيا، الّتي يسعى إليها الإنسان للحصول على أفضل حياة. وعلى الرغم من كلّ هذه الجهود المبذولة من طرف الدول العربية للتّقدم في القطاع الثقافي إلاّ أنّها تعيش مجموعة من الضغوطات، منها داخلية متمثلة في الفقر

[1] - عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، ج 2، دط، 1961، ص213.
[2] - حديث شريف.
* **ماري كاردينال:** كاتبة فرنسية وصحفية وممثلة ولدت في 3 مارس1928 بالجزائر العاصمة (فرنسا آنذاك)، وتوفيت في ماي 2000 بفرنسا.
[3] - هناء زكريا علي، التعددية الثقافية، دفاتر فلسفية، يصدرها كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، القاهرة، 2001، ص82.

والجهل والتّخلف، والفشل في القطاع الثقافي ممّا أدّى إلى وجود تمزقات وتناقضات داخل أبناء المجتمع، إضافة إلى ضغوط خارجية أجنبية تدعو إلى دمقرطة العلاقات واستقلال وسائل الإعلام ونشر مواقع الانترنت، وهذا من أجل دفع بالشباب للرّذيلة وجلب اهتماماتهم إلى الثقافة الغربية الداعية إلى الإباحية دون قيود، وهذا ما يسموه بالعولمة.

خاتمة:

ومما سبق ذكره، إن الثقافة عند عبد الله شريط هي خاصيّة المجتمع لا النّخبة، والمجتمع بأسره يمثل الثقافة وإذا أصبحت الثقافة حكرا على أبناء الشعب فتعمّ بذلك الفوضى والجرائم، باعتماد أبناء المجتمع غير النخبوي على الثقافة الجماهيرية الّتي يزرعها الأجنبي ويبثها عن طريق مجموعة من الطرق الحديثة، وهذا ما يدفع بالمجتمع إلى أخطار عدّة متعلّقة بأمنه وسلامته، فعلينا إذن، كوننا مجتمعا عربيا أصيلا أن نغذي الثقافة بأسئلة واقعية، جديدة راهنة تفتح لنا آفاقا وتطلّعات حضارية، فالثقافة هي جزء لا يتجزّأ عن المجتمع ولكن ارتباطها ملازم للوجود الإنساني الّذي يساهم في إثرائها ورقيّها، فيبدع بذلك العنصر الإنساني بمفاهيم وطموحات متعلّقة بتاريخه ومستقبله والثقافة البناءة الّتي يدعو إليها عبد الله شريط والّتي تسهم في التّفاعل مع عقول أبناء المجتمع وتنعكس على سلوكهم للتعزيز بالانتماء إلى وطنهم، وهذا التّفاعل بين الثقافة والمجتمع يرجع إلى الازدواجية الّتي يفرضها كلّ عنصر منهما.

إنّ المجتمع بدوره وبثقافته يستطيع أن يسهم في خلق إنسان مبدع وفنان في كلّ مجالات الحياة، وهذا التّفاعل بين أبناء المجتمع المثقفين يمكن أن تتحوّل ثقافتهم إلى نسق ثقافي اجتماعي يمارس دوره ويبلور مقاصد النّاس وبذلك نستطيع القول إن هذا التفاعل ايجابي بين الثقافة والمجتمع قد تحقّق على المستوى العملي، وعليه وتدعيما لفكرة جون بول سارتر المجتمع الّذي يصهر الأديب أو الفنان هو أسوأ أنواع المجتمعات، فالتطوّر الثقافي لا على الحساب الحريات الفردية ولا التّميز العنصري ولا على حساب لون البشرة، إنّما بالعمل السويّ المؤدي إلى النتيجة الفعّالة في المجتمع، وليقوم الفنان أو الأديب بالدّور المستحق بحيث لا تقمع حريّته ولا تقيّد، شريطة أن يعي روح المسؤولية والرّسالة التي يحملها على عاتقه، كما تهدف الثقافة إلى الوعي والفهم وذلك قصد تمكين المرء من ترجمة قدراته وأفكاره وذلك للرّجوع بالفائدة على مجتمعه، وهنا

تكمن مهمة المثقف في توفير الأسباب المختلفة للمجتمع، لكي يعيد اكتشاف ذاته وتقديم أهداف وقيم أساسية لأفراده تضفي على أعمالهم معنى إنسانيا، وتجعلهم قادرين على تحقيق إنسانيتهم وتوضح لها طرق هذا التّحقيق، وبكلّ هذه الأدوار يقوم المثقّف بإغناء الثقافة لتطوير مجتمعه وبذلك نمو بلاده، وحتّى في علاقاته بأبناء مجتمعه.

من السنة:

- حديث شريف.

المصادر والمراجع

1. عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، ج 2، دط، 1961.
2. عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعريب والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، س1984.
3. عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981.
4. يسرى الجوهري وناريمان درويش، الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،
5. س1986.
6. محمد الطهار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1983.

المجلات:

1. هناء زكريا علي، التعددية الثقافية، دفاتر فلسفية، يصدرها كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، القاهرة، 2001.
2. مجموعة من الأساتذة الجامعيين، المثقف العربي همومه وعطاءه، الطبع والنشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، س1990.

المعاجم:

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج2، ط1، س 1982.
2. جاك أطالي، قاموس القرن الواحد والعشرون، دار النشر فايار، باريس، ط1، س 1998.